سلسلة تفريغات شبكة بينونة

سلسلة

أركان الإيمان

١. الإيمان بالله عز وجل

الشيخ
د. خالد بن محمد الزهراني

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم سلسلة بعنوان

أركان الإيمان

(١) الإيمان بالله تعالى

للشيخ

د.خَالِدْ بِنْ حَمَدْ الزعَابِي

حفظه الله تعالى

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فهذه محاضراتٍ ضمن سلسلة أركان الإيمان، وحديثنا اليوم عن الإيمان بالله تعالى.

إن الإيمان بالله تعالى نعمةً منه سبحانه يمُن بها على من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١٧]، والنعمة إنما تقابل بالشكر، فيشكر المؤمن ربه على الهداية لنعمة الإسلام والإيمان والهداية لهذا الدين العظيم، ويعلم المؤمن وتعلَم المؤمنة أن الإيمان ليس بالدعوة، بل الإيمان له حقيقة، قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت:٣٠].

وسأل أحد الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: «قُلْ: آمَنْت بِاَللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[١] فيستقيم على الإيمان ولا يكتفي بالقول؛ وذلك بأن يعتقده في قلبه، ويعمل به في جوارحه، ويكون الإيمان ظاهرًا عليه في تصرفاته وفي أفعاله وأقواله كما هو راسخٌ في قلبه ونيَّته وعقيدته، هذا هو الإيمان، الإيمان يكون في قلب الإنسان، وتظهر آثاره على أعضائه وجوارحه بطاعته لربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

والإيمان كما جاء عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- له شعبٌ تزيد على الستين أو السبعين؛ ففي الحديث أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[٢].

١- أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٤ / ١٤١) برقم: (١٥٤١٦).

٢- أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤٦) برقم: (٣٥).

فهذا الحديث يدل على أن الإيمان: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، والإيمان يزيد وينقص، قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤]؛

- وهو يزداد بطاعة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ويقوى بطاعته تعالى.
- ويضعُف بمعصية الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

والإيمان له أحكامٌ عظيمة: «أَعْلاَهَا قَولُ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ» هذا قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب، فلا بد أن يقولها بلسانه، وأن يعرِف معناها ويعتقده في قلبه، ولا بد أن يعمل بمقتضاها، فليس المراد من قول: لا إله إلا الله أن يقولها بلسانه فقط، بل لا بد من معرفة معناها، ولا بد من العمل بمقتضاها حتى يكون الإنسان من أهل لا إله إلا الله حقًا، ويحذر من حال المنافق الذي يقولها بلسانه دون قلبه، ويُظهِر هذا القول باللسان دون أن يكون له أثرٌ في القلب والأعمال.

ولهذا يقول الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ-: "ليس الإيمان بالتحلِّي ولا بالتمنِّي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدَّقته الأعمال"، ليس الإيمان بإظهار المظاهر المعينة، ولا بالتمني بالأمنيات الفارغة، ولكنه ما وقر وثبت في قلب الإنسان واعتقده بصدقٍ ويقين، (وصدَّقته الأعمال) ظهر أثر هذا الاعتقاد الذي في القلب على العمل فكان العمل صالحًا، واجتهد المؤمن في طاعة ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولا إله إلا الله هي رأس هذا الإيمان، وجميع أعمال الخير والمعروف من الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١-٣].

✹ والإيمان له صفاتٌ يتصف بها العبد الذي يُطيع ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، يتصف بها المسلم، يتصف بها المؤمن؛

من ذلك: المحبة بين المؤمنين، فالمؤمنون أخوةٌ كما قال الله -جَلَّ وَعَلَا-، ومقتضى الأخوة: المحبة فيما بينهم، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مبيِّنًا لنا شيئًا من آثار هذا الإيمان، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: « لَا

تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1]، فإفشاء السلام يؤدي إلى المحبة التي هي من لوازم الإيمان وآثاره وثماره بين المؤمنين.

والإيمان الكامل الواجب يقتضي فعل ما أمر الله به وما أمر به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وترك ما نهى عنه الله وما نهى عنه الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، والمؤمن إنما سُمي مؤمنًا لإيمانه وتصديقه بقلبه وإسلامه بجوارحه لله وحده، فالمؤمنون مؤمنون بتصديقهم وبإسلامهم، وقيامهم بأمر الله، ووقوفهم عند حدوده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥)﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥] فالله -عَزَّ وَجَلَّ- يُخاطب الناس جميعًا مخبرًا لهم أنهم قد جاءهم منه سبحانه الدليل القاطع للعذر، والضياء الواضح على الحق؛ وهو القرآن؛

- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء:١٧٤] الذي هو القرآن كلام الله تعالى.

- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ﴾ [النساء:١٧٥] فعبدوه وحده، وتوكلوا عليه في جميع أمورهم كان لهم الفوز العظيم للصراط المستقيم المشتمل على كل خير، وعلى كل ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه.

✹ الإيمان أيها الأخوة والأخوات:

- اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان؛ فالإيمان يقوم على اعتقاد القلب الصادق، وقول اللسان ونطقه، وعلى عمل الجوارح والأركان؛ أي أعضاء الإنسان من اليد والرجل ونحوها.

١- أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٣) برقم: (٥٤).

- وهو التصديق والإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام، فتصديق الإنسان واعتقاده الصادق بقلبه أنه مؤمنٌ بربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يلزم منه قبول الأخبار أخبار الكتاب والسنَّة، والإذعان للأحكام الواردة عن الله تعالى وعن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

✹ والإيمان يشمل الدين كله:

وعند التفصيل فالمقصود به الأركان الستة كما في حديث جبريل -عَلَيْهِ السَّلَام-، وهو حديثٌ مشهورٌ في بيان أصول الدين وأركان الإيمان والإسلام والإحسان؛ ففي [صحيح مسلم] عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[١].

في هذا الحديث العظيم أجاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عن أسئلة جبريل -عَلَيْهِ السَّلَام-؛ ومنها: سؤاله عن أركان الإيمان، فأجابه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بقوله: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ له جبريل: صَدَقْتَ.

١- أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٢٨) برقم: (٨).

فهذا الحديث دل على أركان الإيمان الستة، وقد جاء ذِكرها في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقوله سبحانه في الإيمان بالقضاء والقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

➢ وأول هذه الأركان: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالله تعالى: هو التصديق الجازم من صميم القلب بوجود الله تعالى وتوحيه بألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وهو التصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله قولًا وعملًا واعتقادًا.

➢ والإيمان بالله تعالى حتى يتحقق لا بد له من أمورٍ أربعة:

أولها: الإيمان بوجوده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وثانيها: الإيمان بانفراده بالربوبية.

وثالثها: الإيمان بانفراده بالألوهية.

ورابعها: الإيمان بأسمائه وصفاته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ولا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

☜ الإيمان بوجود الله تعالى له أدلةٌ كثيرة من العقل، ومن الحس، ومن الفطرة، ومن الشرع؛

فمن أدلته من العقل: أن الإنسان إذا تفكَّر في هذا الكون العظيم البديع وعظيم صنعه وإتقانه لا يمكن عقلًا أن يوجد صدفة، فالله تعالى هو الذي خلقه وأوجده، وكذلك إذا تفكَّر الإنسان في نفسه كيف خلقه الله تعالى وأوجده من العدم، وكيف هيأ له هذا الجسم المكتمل الذي له وظائف متعددة مترابطة، تُكمِّل حاجات الإنسان في هذه الحياة الدنيا أيقن وعرَف أن له ربًّا وله خالقًا هو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولما سُئل الأعرابي: بمَا عرَفت ربك؟ قال: "الأَثَرُ يَدُلُّ على المَسير، والبَعَرَةُ تَدُلُّ على البعير، فَسماءٌ ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذاتُ فِجاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألا تَدلُّ على السميع البصير!".

ومن جهة الحس: الإيمان بالله تعالى وبوجوده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- لو تأمل الإنسان في دعائه لربه تعالى، وكيف أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُجيب دعاء من دعاه، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- استسقى يومًا على المنبر فأجاب الله دعاءه ونزل المطر، فإجابة الدعاء دليلٌ على وجود الله تعالى.

ففي [صحيح مسلم] عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَجُلًا، دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا، قال: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»، قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَاللهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلاَ قَزَعَةً -يعني ليس في السماء سحابة أو غيمة، ولا قزعة: قطعة يسيرة من الغيم أو السحاب- وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ -وسلع: هو جبل من جبال المدينة-. قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قال: فَلاَ وَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سبتًا، قال: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ حَوْلَنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللهُمَّ عَلَى الْآكَامِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» يعني حول المدينة. وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ"[١]؛ فهذا من إجابة الله تعالى لدعاء نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومنه أيضًا -من إجابة الدعاء-: قوله تعالى في قصة أيوب -عَلَيْهِ السَّلَام-: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ (٨٤)﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤] فإجابة الدعاء دليلٌ على وجود الله تعالى.

١- أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٢٤) برقم: (٨).

وكذلك الفِطرة السليمة؛ فكثيرٌ من الناس ممن لم تنحرف فِطرهم يؤمنون بوجود الله تعالى، فالفِطر مجبولةٌ على الإيمان بالله، وفي الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢] فالله تعالى قررهم بإثبات ربوبيته بما أودعه في فِطرهم من الإقرار بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم، فالله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القويم.

وأما من جهة الشرع: فما جاءت به الرسل -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- يدل على وجود الله تعالى، فكل ما جاء عن الرسل -عَلَيْهِمِ السَّلَام- من شرائع الله تعالى وأحكامه المتضمنة لجميع ما يُصلح الخلق يدل على أن الذي أرسلهم بها ربٌّ رحيمٌ حكيم، ولا سيما هذا القرآن المجيد كلام الله تعالى الذي أعجز البشر والجن أن يأتوا بمثله.

☜ فالمؤمن حتى يتحقق إيمانه لا بد أن يؤمن:

أولًا: بوجود الله تعالى.

وثانيًا: يؤمن بالله تعالى من جهة إفراده بالعبادة وهو توحيد الألوهية، وهو إفراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، القولية والفعلية، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى.

فعلى توحيد العبادة، وإفراد الله بالعبادة، وعبادته وحده لا شريك له قامت دعوة الأنبياء والمرسلين -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]؛ فدعوة الرسل -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- جميعًا قائمةٌ على عبادة الله وحده لا شريك له.

١- أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٠) برقم: (١٣٨٥)

ولما سأل هرقل أبا سفيان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال هرقل: "ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباءكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف والصلة"[١] فالعبادة لا تكون إلا لله تعالى وحده، والعبادة تجمع كل ما يُحبه الله تعالى من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة؛ كالدعاء والصلاة، والتوكل والصدقة، وتلاوة القرآن، وذِكر الله، وإعانة المحتاجين، وسائر جميع أنواع العبادة.

➢ وإن مما يُضاد توحيد العبادة وتوحيد الألوهية: هو الشرك بالله تعالى، وهو نوعان:

- شركٌ أكبر يُنافيه بالكلية.
- وشركٌ أصغر يُنافي كماله.

أما الشرك الأكبر: فهو اتخاذ العبد ندًّا من دون الله، يُساويه برب العالمين، يُحبه كحب الله، ويخشاه كخشيته الله، ويدعوه ويلجأ إليه، ويخافه ويرجوه ويتوكل عليه؛

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].
- وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة:٧٢].
- وفي [الصحيحين]: «حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ أَلَّاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[٢].

فهذا هو الشرك الأكبر المحبِط لعمل الإنسان الذي يُخلِّده في نار جهنم.

وأما الشرك الأصغر: فهو كيسير الرياء الداخل في تحسين العمل المراد به الله تعالى؛ كمن يُصلي فيُزين صلاته ليمدحه الناس، وفي الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ

١- أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨) برقم: (٧).

٢- أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٩) برقم: (٢٨٥٦) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٣) برقم: (٣٠).

الْأَصْغَرُ» فسُئل عنه فقال: «الرِّيَاءُ»[١] وفسره -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقوله: «أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[٢].

فهذا هو الرياء، الشرك الأصغر قد حذرنا منه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومن الشرك الأصغر كذلك: الحلِف بغير الله، وفي الحديث: «لَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ»[٣] وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالْأَنْدَادِ»[٤].

والشرك بنوعيه الأكبر والأصغر خطرٌ عظيم يحذر منه المؤمن ويخاف، ويجتهد في إخلاص العبادة لله وحده -جَلَّا جَلَالُهُ-، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، ﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي من هذه الأمة.

➢ ومن الإيمان بالله تعالى: ذكرنا الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بانفراده بالعبادة وإخلاص الدين له، ومنه كذلك: الإيمان بانفراده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالربوبية وهو توحيد الربوبية، وهو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء، ومليك كل شيء، وخالق كل شيءٍ ومالكه، والمتصرِّف فيه، لم يكن له شريكٌ في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذل، لا راد لأمره، ولا معقِّب لحكمه.

- قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].
- وقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١].

١- أخرجه أحمد في "مسنده" (٣٩/ ٣٩) برقم: (٢٣٦٣٠).

٢- أخرجه ماجه في "سننه" (٥ / ٦١٣) برقم: (٤٢٠٤).

٣- أخرجه أبو داود في "سننه" (٣ / ٣٧٠) برقم: (٣٢٤٨).

٤- سبق تخريجه في الحديث السابق رقم (٣٢٤٨).

- وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان:١١].

- وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

- وفي الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[١].

فالله تعالى هو المالك لهذا الكون، وهو المدبر لأموره، المتصرف فيه كيف يشاء -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ومما يُضاد توحيد الربوبية: أن يعتقد الإنسان متصرفًا مع الله -عَزَّ وَجَلَّ- في أي شيءٍ من تدبير الكون؛ من إحياءٍ أو إماتةٍ، أو جلب خيرٍ، أو دفع ضر، أو علم غيب؛

- قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس:١٠٧] فلا متصرف مع الله تعالى.

- وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

- وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل:٦٥] فلا يعلم الغيب إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وفي هذا نُنبه على أنه يحذر المسلم والمسلمة من الذهاب للسحرة والدجالين أو التواصل معهم في وسائل التواصل الحديثة من أجل سؤالهم عن أمور الغيب، فالمؤمن يوقن يقينًا صادقًا أنه لا يعلم الغيب إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل:٦٥].

١- أخرجه الترمذي في "سننه" (٤ / ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦).

➢ ومن الإيمان بالله تعالى: الإيمان بأسمائه وصفاته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، وهو توحيد الأسماء والصفات، وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الأسماء الحسنى والصفات العُلى على الوجه اللائق به -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، وإمرارها كما جاءت بلا كيفٍ ولا تحريف، ونعلم أنها حق، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فالإيمان بالأسماء والصفات لله تعالى يكون بأن نؤمن أنه تعالى موصوفٌ بصفات الكمال، منزهٌ عن كل صفات النقص والعيب، ويعلم المؤمن أن أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- توقيفية، فلا نُسمي الله تعالى إلا بما ورد في الكتاب والسنَّة من الأسماء له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، وكذلك صفاته -عَزَّ وَجَلَّ- كلها حسنى بلغت من الحسن غايته، ولا تُشبه صفات خلقه.

ومن أسماء الله تعالى: اسم الله العلي، والأعلى، والرحمن، والرحيم، والملك، والقدوس، والسلام، والغفور، والشكور، وغيرها من أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- المذكورة في الكتاب والسنَّة، والمسلم يحرص على معرفة أسماء الله تعالى، ومعرفة صفاته -عَزَّ وَجَلَّ- ليدعوه بها، ويُثني بها عليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-؛

- فيقول مثلًا طالبًا رحمة الله: اللهم يا رحيم ارحمني.
- ويقول طالبًا مغفرته: اللهم يا غفور اغفر لي.

وهكذا يدعو الله -عَزَّ وَجَلَّ- بأسمائه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- وبالاسم المناسب لحاجته التي يطلبها من ربه -عَزَّ وَجَلَّ-.

ومن صفات الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- التي يؤمن بها المؤمن كما وردت في الكتاب والسنَّة: صفة الحياة لله تعالى، وصفة القدرة، وصفة العلم، وصفة العلو، وصفة الاستواء على العرش، وصفة الكلام، وصفة السمع والبصر، والرحمة، والمحبة، والوجه لله تعالى، وغيرها من الصفات التي جاءت في آيات القرآن وفي أحاديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فالمسلم يؤمن بكل ما جاء عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- من أسماءٍ وصفات، وما جاء عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويُصدِّق بها، ويؤمن بها جميعها كما جاءت في الكتاب والسنَّة على الوجه اللائق بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، والمؤمن كلما زاد إيمانه بأسماء الله وصفاته حصلت له ثمراتٌ عظيمة على سلوكه وتصرفاته، وزادت طاعته لله تعالى، وخشيته من ربه ومولاه -عَزَّ وَجَلَّ-، والمؤمن يحذر من الإلحاد في أسماء الله تعالى كحال المشركين الذين سموا أوثانهم بأسماء الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-.

✹ هذه وقفاتٌ عن الإيمان بالله تعالى، فالإيمان بالله تعالى يتحقق بأمورٍ أربعة كما ذكرنا:

- الأول: هو الإيمان بوجود الله تعالى.
- والثاني: هو الإيمان بتوحيد الألوهية.
- ثم الإيمان بتوحيد الربوبية.
- ثم الإيمان بالأسماء والصفات لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-.

فإذا جمع المسلم بين هذه الأمور الأربعة كان قد حقق الإيمان بالله تعالى الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان، وحصلت له به ثمراتٌ كبيرةٌ عظيمةٌ؛ منها: محبة الله تعالى له، وتعظيم الله تعالى، والقيام بأمره، واجتناب نهيه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ-، فتحصل له سعادة الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

والحياة الطيبة بطمأنينة القلب، وسكون النفس، وانشراح الصدر، والرزق الحلال الطيب من حيث لا يحتسب، وفي الآخرة له من النعيم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هذا والله تعالى أعلم، وصلَّ الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

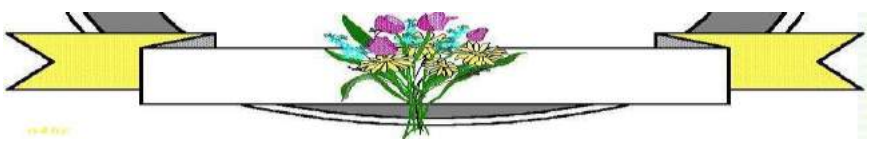

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 TikTok تيك توك 】
https://tiktok.com/@baynoonanet
【 Vk في كي 】
https://vk.com/baynoonanet
【 Linkedin لينكدان 】
https://www.linkedin.com/in/٦٦٩٣٩٢١٧١-الشرعية-للعلوم-بينونة-شبكة
【 Reddit ريديت 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 Pinterest بنترست 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 Snapcha سناب شات 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

استمع إلى المحاضرة
من هنا